(212) فقد وصف الظمآن بصفات عديدة: الاَُولى: حسبان السراب ماءً ،كما قال سبحانه: (كَسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء). الثانية: إذا وصل إلى السراب لم يجده شيئاً نافعاً، كما قال سبحانه (حتّى إذا جاءه لم يجده شيئاً) وإنّما خصّ الظمآن به مع أنّ السراب يتراءى ماء لكلّ راءٍ، لاَن المقصود هو مجيء الرائي إلى السراب، ولا يجيئه إلاّ الظمآن ليرتوي ويرفع عطشه. الثالثة: عند ما يشرف على السراب لا يجد فيه ماءً، ولكن يجد ا سبحانه عنده، كما قال سبحانه: (وَوَجد ا عنده). وهذا خبر عن الظمآن، ولكن المقصود منه في هذه الجملة هو الكافر، والمعنى وجد أمر ا ووجد جزاء ا ، وذلك عند حلول أجله واشرافه على الآخرة. فالكافر يتصوّر أنّ ما يقدم من قرابين وأذكار سوف ينفعه عند موته و بعده، وسوف تقوم الآلهة بالشفاعة له، ولكن يتجلّى له خلاف ذلك وانّ الاَمر أمر ا لا أمر غيره فلا يجدون أثراً من ألوهية آلهتهم. فعند ذلك يجدون جزاء أعمالهم، كما يقول سبحانه: (فَوَفّاهُمُ اُ حسابهم). ثمّ إنّه سبحانه يصف نفسه بقوله: (وَاُ سريع الحساب). وبذلك تبين انّ الآية المباركة لبيان حال الظمآن الحقيقى إلى قوله: (لم يجده شيئاً)، كما أنّها من قوله (ووجد...) يرجع إلى الظمآن لكن بالمعنى المجازي وهو الكافر.